

سورة الضحى

١١٠ - قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (٢)

القراءة: قراءة الجمهور: "ما وَدَّعَكَ" بتشديد الدال، وكما هي في المصحف الإمام، من التوديع. وروى أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ: "ما وَدَّعَكَ" بتخفيف الدال. فقد روي ابن خالويه، وابن جني، بروايتين محذوفتي الإسناد، بأن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ: "ما وَدَّعَكَ" بالتخفيف. وقرأ بها: عمر بن الخطاب، وعروة بن الزبير، وابنه هشام، وأنس، ومجاهد، ومقاتل، ويزيد النحوي، وأبو حاتم عن يعقوب، وأبو حيوة، وابن أبي عتبة، وأبو بحرية، وأبو العالية، وابن يعمر، وحمصي^(١). قلت: هذه القراءة "ما وَدَّعَكَ" بالتخفيف شاذة لمخالفتها رسم المصحف الإمام، وضعف سندها، وقال ابن جني: وهذه لغة قليلة الاستعمال، قال سيبويه: استغنوا عن: وَدَّرَ، وَوَدَّعَ بقولهم: تَرَكْ، وعلى أنها قد جاءت في شعر أبي الأسود، قال: وأنشدناه أبو علي:

(١) انظر: مختصر شواذ القرآن ص: ١٧٥، والمختضب ج ٢ / ٣٦٤، وتهذيب اللغة للأزهري ج ٣ / ١٣٦، والمحرم الوجيز ج ٥ / ٤٩٣، والكشاف ج ٤ / ٧٦٥ / ٧٦٦، والبحر المحيط ج ٨ / ٤٨٠، وزاد المسير ج ٩ / ١٥٧.

٦٧- لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي

غَالَهُ فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَّعَهُ^(٢)

وقال أبو البقاء: "ودَّعَكَ" يقرأ بالتخفيف للدال، وهي لغة قليلة. قال أبو

الأسود:

٦٨- لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلٍ مَا الَّذِي

غَالَهُ فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَّعَهُ^(٣)

وقد أورد أبو حيان بيتاً آخر فقال:

٦٩- وَكَمْ وَدَّعْنَا آلَ عَمْرٍو وَعَامِرٍ

فَرَأَيْتُ أَطْرَافَ الْمُتَّقَةِ السُّمْرِ^(٤)

التوجيه والتفسير: وحجة من قرأ: "ما ودَّعَكَ" بتشديد الدال، أنه من التوديع، مبالغة في الودع، لأنَّ من ودَّعَكَ مفارقاً فقد بالغ في تركك، وروي أنَّ الوحي قد تأخر عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أياماً، فقال المشركون: إنَّ محمداً ودَّعه ربه وقلاه، وقيل: إنَّ أمَّ جميل امرأة أبي لهب قالت له: يا محمد، ما أرى شيطانك قد تركك فنزلت^(٥).

(٢) انظر: المحتسب ج ٢ / ٤٣٢، وتفسير البحر المحيط ج ٨ / ٤٨٠، وتهذيب اللغة للأزهري ج ٣ / ١٣٦.

(٣) انظر: الانصاف ج ٢ / ٣٩٧ رقم ٣٠٦، والمحتسب ج ٢ / ٤٣٢، والبحر المحيط ج ٨ / ٤٨٠، وتهذيب اللغة ج ٣ / ١٣٦، والأشباه والنظائر ج ١ / ٢٢٧ رقم ١٧٤. وخزانة الأدب ج ٥ / ١٥٠، والخصائص ج ١ / ٩٩، ولسان العرب ج ١٥ / ١٨٠ مادة ودع، وروح المعاني ج ٣٠ / ١٥٦.

(٤) انظر: إعراب القراءات الشواذ ج ٢ / ٧٢١، وتفسير البحر المحيط ج ٨ / ٤٨٠، والكشاف ج ٤ / ٧٥٤، والدر المصون ج ٦ / ٥٣٧ رقم ٤٥٩٧ وروح المعاني ج ٣ / ١٥٦.

(٥) انظر: الكشاف ج ٤ / ٧٦٥ / ٧٦٦، والمحرم الوجيز ج ٥ / ٤٩٣، وتفسير البحر المحيط ج ٨ / ٤٨١، وزاد المسير ج ٩ / ١٥٧.

ومن قرأ " مَا وَدَّعَكَ " بمعنى : ما تركك ، قال الشاعر :

٧٠- وَكَمْ وَدَّعْنَا آلَ عَمْرٍو وَعَامِرٍ

فَرَأَيْسَ أَطْرَافِ الْمُتَّقَةِ السُّمْرِ^(٦)

وقال ابن جني : هذه قليلة الاستعمال - يعني التخفيف - وقال سيبيويه : استغنوا عن : وَدَّرَ ، وَوَدَّعَ ، بقولهم : " تَرَكْ " وعلى أنها قد جاءت في شعر أبي الأسود ، قال : وأنشدناه أبو علي :

٧١- لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي

غَالَهُ فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَّعَهُ^(٧)

إلا أنهم قد استعملوا مضارعه ، فقالوا : يَدَّعْ ، ويروي بيت الفرزدق :

٧٢- وَعَصَّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَّعْ

مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا^(٨)

على ثلاثة أضرب : لم يَدَّعْ ، ولم يَدَّعْ بكسر الدال ، وفتح الياء. ولم يَدَّعْ بضم الياء. فأما يَدَّعْ : بفتح الياء والدال ، فهو المشهور ، وإعرابه أنه لما قال : لم يدع من المال إلا مُسْحَتًا ، دل على أنه قد بقى ، فأضمر ما يدل عليه القول فكأنه قال : وبقي مُجْلَفًا. وأما يَدَّعْ ، بفتح الياء وكسر الدال ، فهو من الاتِّدَاعِ ، كقولك : قد استراح ووَدَّعَ ، وهو وَادَّعَ من تعبهِ ، فالمسحت على هذه الرواية ، مرفوع بفعله ، ومُجْلَفٌ معطوف عيله.

(٦) سبق توثيقه رقم ٦٩.

(٧) سبق توثيقه رقم ٦٨.

(٨) البيت في ديوانه : ج ٢٦/٢ والخصائص ج ١/ ١٠٠ وخزانة الأداب ج ١/ ٢٣٧ والمحتسب ج ٢/ ٤٣٢ ، والأنصاف ج ١/ ١٥٣ رقم ١١٣ ولسان العرب ج ٣/ ١٨٠ مادة جلف ، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ج ٥/ ٥٦ .

وهذا ما لا نظر فيه لوضوحه. وأما يُدَع - بضم الياء، فقياسه يُودَع، كقول الله تعالى: "لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ" [سورة الأَخْلَاص / ٣]، ومثله: يُوضَع، والحديد يُوقَع، أي: يُطَرَقُ، من قولهم: وَقَعْتُ الحديدَ: أي: طرقتها، قالوا: إلا أن هذا الحرف كأنه - لكثرة استعماله - جاء شاذاً، فحذفت واوه تخفيفاً، فقليل: لم يُدَع، أي: لم يُترك، والمُسَحَّتْ والمُجَلَّفُ جميعاً مرفوعان أيضاً كما يجب^(٩). قلت: قد استعمل العرب "وَدَع" وليس كما قال سيويه استغنوا عنه بلفظ "ترك". فقد ورد "وَدَع" في الشواهد الشعرية منه ما رواه الزمخشري، وأبو حيان، قال: قال الشاعر:

٧٣- وَكَمْ وَدَعْنَا آلَ عَمْرٍو وَعَامِرٍ

فَرَأَيْتُ أَطْرَافَ الْمُتَقَفَّةِ السُّمَرِ^(١٠)

وأنشد الأصمعي لأنس بن زُئيم الليثي:

٧٤- لَيْتَ شَعْرِي عَنْ أَمِيرِي مَا الَّذِي

غَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَعَهُ

لَا يَكُنْ بَرْقُكَ بَرْقاً خُلْباً

إِنْ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ^(١١)

(٩) انظر: المحتسب ج ٢ / ٣٦٤ / ٣٦٥.

(١٠) انظر: الكشف ج ٤ / ٧٦٦، وتفسير البحر المحيط ج ٨ / ٤٨٠ / ٤٨١، وسبق توثيقه في ص: ٤٨٦.

(١١) انظر: تهذيب اللغة ج ٣ / ١٣٦، ولسان العرب ج ٦ / ٤٧٩٦ / ٤٧٩٧ مادة ودع وسبق توثيقه في ص: ٤٨٦.

وأيضاً روى ابن عباس أنه، صلى الله عليه وسلم، قال: "لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن على قلوبهم ثم ليكبن من الغافلين" ^(١٢) فهذا الحديث والشواهد الشعرية دليل على استعمالهم للمصدر من "ودع"، وكذلك الماضي والمضارع. وقال الأزهري: قال شمر: "وزعمت النحوية أن العرب أماتوا مصدر: يذر ويدع، واعتمدوا على الترك، والنبي، صلى الله عليه وسلم، أفصح العرب، قد رويت عنه هذه الكلمة، قال ابن الأثير: وإنما يحمل قولهم على قلة استعماله، فهو شاذ في الاستعمال، صحيح في القياس وقد جاء في غير حديث حتى قرئ به قوله تعالى: "ما ودعك ربك وما قلى" بالتخفيف ^(١٣). ويقول د. مصطفى سالم: "والاستعمال له كبير الأثر في شيوع كلمة دون أخرى وقد أطرده بالصيغة المشددة، ونادر بالمخففة، حتى عدها بعض اللغويين شاذة، فقد ذكر في العين أن "العرب لا تقول: ودعته فأنا وأدع، في معنى تركته فأنا تارك، ولكنهم يقولون في الغابر، لم يدع، وفي الأمر: دعه.

وفي النهي: لا تدعه، إلا أن يضطر الشاعر، كما قال:

٧٥- وكان ما قدّموا لأنفسهم

أكثر نفعاً من الذى ودّعوا ^(١٤)

(١٢) رواه ابن ماجه في: ٤- كتاب المساجد والجماعات، ١٧- باب التغليظ في التخلف عن الجماعة، ج١/ ٢٦٠ رقم ٧٩٤ وابن الأثير في: النهاية فى غريب الحديث والأثر ج٥ / ١٦٥ / ١٦٦ / ١٦٧ / ١٦٨، وتهذيب اللغة ج٣ / ١٣٨ / ١٣٩، ولسان العرب ج٦ / ٤٧٩٦ / ٤٧٩٧ مادة ودع.

(١٣) انظر: لسان العرب ج٦ / ٤٧٩٧ مادة ودع.

(١٤) انظر: العين ج٢ / ٢٢٤، وتهذيب اللغة ج٣ / ١٣٦، ولسان العرب ج١٥ / ١٨٠ مادة ودع، والمعجم المفصل ج٤ / ٢٨١ وخزانة الأدب ج٦ / ٤٧٢.

وذكر هذا أيضاً ابن دريد، وقال: زعموا أنه قرئ "ما ودَعَكَ" ^(١٥). كما ذكره الأزهري ^(١٦)، ونقل عن الحراني عن ابن السكيت أنه لا يقال: ودَعْتَه، ولكن تركته. وعلى هذا كثير من أهل اللغة العربية، غير أن تتبع اشتقاقات هذه المادة، وما تدور عليه من معانٍ، يدل على خلاف ما ذهبوا إليه، فإن الواو والداو والعين هي المادة الأصلية التي تتولد عنها مختلف التفرعات ومنها صيغة "فَعُل" المشددة العين، فالأصل المادى واحد. وكذلك تؤول دلالات مختلف التفرعات إلى معانٍ متقاربة إلى حد كبير، فهي تنتهي إلى معنى الترك والتخلية في سكون وخفض من العيش، ويبدو هذا في الدَّعة، والوديع، وفي قولهم: عليك بالموَدع، أي بالسكينة والوقار، وفي توديع المسافرين أهله، أي: تركه إياهم خافضين وادعين، وهم يودِّعون تفاقماً بالدَّعة التي يصير إليها إذا قفل، والموادعة: المصالحة. وهكذا تتلاقى المعاني على هذا الأصل. ويقول د. مصطفى سالم: فقد ثبت إذن استعمال العرب "ودَع" المخفف في الماضي، والمصدر، والمفعول ^(١٧).

(١٥) انظر: جوهرة اللغة ص: ١٢٥٩.

(١٦) انظر: تهذيب اللغة ج ٣ / ١٣٦.

(١٧) انظر: قراءات النبي، صلى الله عليه وسلم، وظواهرها اللغوية ص: ١١٩، ١٢٠.